الباب الخامس
تجمعات البلدة

الفصل الأول: الحياة الدينية في حرستا.

الفصل الثاني: من معالم الفن في حرستا.

الفصل الثالث: صور من الحياة الرياضية.

الفصل الرابع: من أماكن التَّسْلية.

الفصل الخامس: الجمعيات وأنواعها.

الفصل الأول
الحياة الدينية في حرستا

كان الإرشاد الروحي والديني الذي يُفقِّه الناس بالدين ويُعَرِّفهم أوامره ونواهيه مفقود بعض الأحيان في البلدة، وذلك لعدم وجود الوعَّاظ والخطباء أو لقلَّتهم عدداً وكفاءة. وبشكل عام فالقروي هو بحاجة كبيرة إلى من يرشده إلى تعاليم دينه، وهو من أشدِّ الناس خضوعاً لدينه إذا عرفه. فقد مرَّ على حرستا سنين خيَّم عليها الجهل بقلَّة العلم، حتى أنه لم يوجد فيها من يُلمُّ بمبادئ القراءة والكتابة إلاَّ نادراً. وفي هذه الفترة انتشرت بعض الطرق الصوفية ومنها:

1 ـ الطريقة الشاذلية: تنتمي هذه الطريقة إلى الشيخ الزاهد علي بن عبدالله أبو الحسن الشاذلي[1]. وقد انتشرت هذه الطريقة في بلاد الشام ودخلت حرستا في القرن الثامن عشر، وأصحابها يلقون الدروس الدينية والتوجيهية والمواعظ، وقد نشر هذه الطريقة في حرستا الشيخ أبو النصر الخطيب[2] عندما التقى الشيخ علي اليشرطي[3] قطب الطريقة الشاذلية في بلاد الشام، وقد انتسب إلى هذه الطريقة كثير من عائلات حرستا معروفون لدى أهل البلدة وعندما يخرج أفراد هذه الطريقة في جنازاتهم يقرؤون «وظيفة» خاصة بطريقتهم. ولهذه الطريقة مكان خاص للعبادة تسمَّى (زاوية الشاذلية).

---

(1) أبو الحسن الشاذلي: هو علي بن عبدالله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة (حزب الشاذلي) ولد بريف مغرب، وتفقه وتصوف بتونس وسكن (شاذلة) قرب تونس فنسب إليها. توفي سنة 656هـ بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج، وكان قد فقد بصره من كثرة المبالغة في القراءة. (الأعلام، خير الدين الزركلي: 4/ 305).

(2) أبو النصر الخطيب: هو أبو النصر عبد القادر الشافعي، نشأ في حجر والده فاجتهد حتى تولَّى منصب القضاء الشرعي في أكثر أقضية دمشق، رحل إلى الأستانة مراراً وتعرف بعلمائها ووزرائها، كانت تهابه الأمراء والحكام، وكان مثال الفضيلة والأخلاق ولد سنة 1253هـ ومات سنة 1324هـ ودفن بمقبرة الدحداح في دمشق. (منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب الحصني: 2/ 710).

(3) علي اليَشْرُطي: علي بن أحمد المغربي اليشرطي الشاذلي (1211 ـ 1316هـ)، شيخ الطريقة اليشرطية ولد في بنزرت، وتفقه وحجَّ مرات، وتصوَّف واستقر في عكا، انتشرت طريقته في البلاد الشامية، فخافت الحكومة العثمانية الفتنة، فنفته إلى جزيرة قبرس، ثم أُفرج عنه وعاد إلى عكا. (الأعلام: 4/ 260 ـ 261).

2 ـ الطريقة الرفاعية : تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد الرفاعي[1]. وقد انتسب إليها كثير من أهل هذه البلدة. ويستعمل الرفاعيون في حلقاتهم الدفوف والصنوج، ولهم مكان يجتمعون فيه على الذكر والتهليل.

3 ـ الطريقة النقشبندية : تنتسب هذه الطريقة إلى شاه نقشبند في بخارى، وانتشرت في الهند وبلاد الشام، ودخلت هذه الطريقة بلدة حرستا في مطلع القرن الماضي، وكان مقرُّها في قرية عربيل حيث انتشرت في القرى المجاورة.

الموالدية : اتجهت الأفكار في أواخر القرن الثالث للهجرة إلى أهمية مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وأخذ الناس يبتهجون بها ويفرحون بقدومها.

وفي العهد الفاطمي تعاظم الاحتفال بالمولد، حتى أن الخلفاء الفاطميين أخذوا يحتفلون رسمياً كل عام، فيقومون بسدِّ الطرق المؤدية إلى مكان جلوس الخليفة أمام الناس وتُكنَّس وتُرشُّ بالماء.

وفي القرن الخامس من الهجرة أُبطلت قراءة المولد في القاهرة بأمر الوزير الفاطمي الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي، لما كان يُصرف عليها من الأموال.

وفي القرن السابع للهجرة، أخذ أمير أربيل الأيوبي بالاحتفال كل عام بهذه المناسبة احتفالاً عظيماً. فكان يرد إلى الاحتفال كل عام عشرات الألوف من بلاد الرافدين والعجم والشام ومصر وخلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والأدباء والشعراء.

وفي أوائل القرن الثامن الهجري ظهرت عادة القيام عن ذكر وضع آمنة بنت وهب للنبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الأموي بدمشق. فقد كانت تُقرأ فيه ختمة حضرها القضاة وأعيان البلد. وكان القاضي السبكي جالساً في محراب الصحابة فلما سمع قول المنشد:

وإن تنهض الأشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب[2]

---

(1) أحمد الرفاعي: هو الشيخ أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس، الإمام الزاهد ولد في قرية (حَسَن) من أعمال واسط في العراق، وتفقه وتأدب في واسط. وقبره إلى الآن محط الرحال لسالكي طريقته، (512 ـ 578هـ). (الأعلام: 1/ 174).

(2) من قصيدة لابن صصرى.

فقام الإمام السبكي وقام من معه. ومنذ ذلك الوقت صارت عادة القيام عند ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أهمية متميزة في حياة المسلمين.

وأهل حرستا في كل عام يقومون بقراءة المولد النبوي في معظم مساجد البلدة وفي بعض الأحياء. وتُوزَّع صُرَرُ الملبَّس والقهوة المرَّة. وكذلك يقرؤون المولد في الأعراس، وقديماً عند ختان أولادهم.

ولقد ظهر في البلدة كثير من المنشدين الذين يقومون بأداء سيرة المولد النبوي.

الفصل الثاني
من معالم الفن في حرستا

1 ـ الخطّاطون : كان للخط عند أجدادنا منزلة رفيعة ، يتعلمونه ويتقنونه ويتنافس المهرة في تنويعه وتجويده ، وقد تركوا فيه آثاراً فنية تشهد على روعته وجماله ، كما تشهد لهم بالبراعة والذوق الرفيع . وكان مما ساعد على ذلك ما تتصف به حروف اللغة العربية من جمال وتنوع ومرونة فكان أكثرهم يكتب مذكراته بشكل مخطّط تخطيطاً مزخرفاً .

وزُيِّنت في حرستا كثير من الجدران بآيات القرآن الكريم والشعر والرسوم الطبيعية التي ما زال لها آثار كثيرة . ولنذكر من هؤلاء الخطّاطين :

1 ـ الخطاط محمد الخطيب والذي نسخ بيده رسائل غير مطبوعة للشيخ عبد الغني النابلسي بخطه الجيد .

2 ـ الشيخ القاضي أحمد بدوي الخطيب (شيخ العرب) : كان يكتب أكثر مذكراته بالخط الفارسي ، ثم ورثه ولده محمد أبو النصر الخطيب ، حيث اشتهر بالخط الفارسي أيضاً . وأصل هذا الخط من ابتكار خطاطي الفرس الذين نوَّعوه واستفادوا فيه من أشكال أجزاء الطيور والدواجن والبط . لذلك جاءت حروفه متميزة بالانسياب واللين والاستدارة ، وهو خط يعتمد بتبديل وضع القلم عند رسم أجزاء الحروف حيث يختلف عرض كتابة الحرف من جزء إلى جزء . وبهذا تبرز مهارة الخطاط . وأكثر خطوط أبو النصر الخطيب تظهر في مساجد حرستا القديمة .

2 ـ الكراكوزاتي (خيال الظل) : وهو من الملاهي التي كانت منتشرة في البلدة ويدعى عند العوام (قره كوز) . وكان في أول القرن الماضي من أشد العوامل تأثيراً في تهذيب الأخلاق وتقويمها بما يلقيه أستاذ هذا الفنِّ على ألسن تلك الخيالات من المواعظ الأخلاقية بعبارات ملؤها انتقاد . وكان الحرستانيون ينتظرون وقت الليل لكي يذهب أحدهم إلى مقهى حرستا القديم لرؤية الكراكوزاتي بأجر زهيد . ومن الأدوار التي يقدمها (عيواظ) .

وكان الأولاد في حرستا يُفتِّشون عن الزيتون الضائع عن الفلاحين كي يأخذوا ثمنه ويدخلوا إلى الكراكوزاتي عندما يكون موجوداً في البلدة. ويرجع بعضهم أن خيال الظل انتقل إلى الأتراك العثمانيين عن طريق مصر أثناء الحكم العثماني للبلاد، حيث نشأ هناك وترعرع، وظهر في مجاله مبدعون طوَّروه وأغنوه. وكان لهؤلاء دور كبير بإغناء مسرح خيال الظل بالشخصيات الأخرى أمثال: مدلل شلبي، وبكري مصطفى، والأرناؤوطي، والآغا، والفرنجي، وغيرهم.. ومن هذه الشخصيات يمكننا التعرف على الأزياء التركية القديمة التي كانت سائدة في أحياء استانبول خاصة، وبالتالي أصبح لتلك (الشخوص) رسوم تعرف بها في كل زمان ومكان.

ونتيجة للسيطرة العثمانية على الوطن العربي بدت التأثيرات التركية واضحة في النصوص العربية المحلية بشكل يبدو للقارئ أنَّ الأصول التركية هي المنبع الذي صدرت عنه بقية الأصول، سواءً في الشخوص أو الفصول. فكان خيال الظل صادراً عن فلسفة شعبية خاصة، ولأنه كان يقوم بوظيفة المرآة التي يرى فيها المجتمع عيوبه ونقائصه.

ولا يزال كبار السن في حرستا يذكرون أيام (الكراكوزاتي) بكل شوق لما كان لها من تأثير في نفوسهم.

الفصل الثالث
صور من الحياة الرياضية

لم تكن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية البريئة المناسبة لعقل الفلاح ومعيشته موجودة بشكل منظَّم. والواقع أن الحياة في ريفنا مطردة رتيبة تورث السأم والملل من فقدان تلك الألعاب. وإذا كان الفلاح يعود في أغلب الأيام تعباً من أعمال الحرث والزرع الشاقة ولا يجد وقتاً للعب واللهو، فإن لديه أوقات فراغ في أيام الشتاء الماطرة ولياليه الطويلة، وهو إذ ذاك لا يجد نادياً يرتاده سوى (منزول) المختار أو أمثاله. وإذا أراد اللعب لا يجد سوى لعب الورق أو الحصى فيما يسمونه (منقلة)، ورغم ذلك فقد كان شباب حرستا يقومون ببعض الألعاب الرياضية كركوب الخيل والحمير وإجراء السباق عليهما وربما قاموا برياضة المصارعة البدنية في أرض البيدر الشمالي، وكثير منهم من كان يلعب بكرة القدم في منطقة السهل إذ اتخذوا من تلك المنطقة ملعباً لهم. ولم تُنظَّم الرياضة حتى عام 1954م، حيث قام الأستاذ محمد راشد الشعار بتأسيس نادي للرياضة، وكان مدير هذا النادي الأستاذ إسماعيل محفوض وقد انتسب إلى هذا النادي كثير من شباب البلدة. وكان اسمه (نادي النسور).

الفصل الرابع
من أماكن التسلية

عندما يقبل فصل الشتاء يقلُّ العمل في الزراعة ويبحث أهل البلدة عن مكان للتسلية، فيذهب أحدهم إلى سوق البلدة القديم ويجلس عند بعض أصحاب الدكاكين الموجودة في ذلك السوق. وربما يكون اجتماع بعضهم في معصرة الزيتون لأن جوها يكون دافئاً في فصل الشتاء، ومنهم من يجلس طوال النهار عند الحلاقين القدامى في البلدة ولما انتشر المذياع اجتمعت الأهالي عند صاحب المذياع للاستماع إلى بعض الأغاني الشعبية القديمة، ومن قبله كان (صندوق السمع).

وظهر في البلدة أيضاً الحكواتية، وهم أناس يعرفون مبادئ القراءة، يتصدَّرون يومياً المقاهي الشعبية ويكون ذلك في فترات المساء، ويقرؤون على الناس قصصاً متنوعة مقابل أجر يقبضونه على هذا العمل، وغالباً ما تكون هذه القصص حماسية شعبية في أغلبها تمثل الشجاعة والكرم كقصة عنترة بن شداد، وقصة الزير سالم، وتغريبة بني هلال. وكان مقر الحكواتية في (مقهى حرستا القديم)[1]. وكثيراً ما كنا نسمع حدوث شجار وخلاف في هذا المقهى.

وكانت البطالة منتشرة على نطاق واسع، وخاصة في فصل الشتاء فكثيراً ما كان الشباب يجتمعون في مفترق الطرق وخاصة عندما تكون الشمس مشرقة وذلك لقلَّة الأعمال لديهم، أو أنهم كانوا يذهبون إلى أرض البيدر الشمالي ويلعبون بالورق أو يلتجؤون إلى المقاهي ويمكثون فيها من الصباح حتى المساء. وكذلك في فصل الربيع والصيف كنا نجد الليل أحياناً عبارة عن شجار بين بعض الأولاد في الأحياء، ومعارك تدور بالأحجار والعصي حتى بعد منتصف الليل ومع هذا كله كان السرور يعم على أهل هذه البلدة، وخاصة قبل النهضة العمرانية الكبيرة، ووفود بعض السكان إليها من المدينة والبلاد المجاورة.

---

(1) يقع هذا المقهى وسط البلدة القديمة، وهو من البناء الأثري القديم، حيث كان مقر لاجتماع كبار أهل البلدة والمخاتير والفلاحين من أجل حلِّ المشاكل التي تمر على أهل البلدة من منازعات حول مياه الري والمقاصرة. وكان يزدحم في فصل الشتاء لقلّة الأعمال الزراعية وكان هذا المقهى مقراً للتسلية والترفيه لحلول (الكراكوزاتي) و(الحكواتي) فيه.

الفصل الخامس
الجمعيات وأنواعها

هناك جمعيتان في حرستا هما الجمعية الخيرية، والجمعية الفلاحية وكلا من الجمعيتين تعمل لأهداف خاصة:

الجمعية الخيرية: تأسست جمعية خيرية في حرستا عام 1956م وكان مقرها في حي الثغرة، في مكان الزاوية الرفاعية. ثم تأسست جمعية أخرى عام 1981م ومقرها الحالي حي الساحة. وهدف الجمعية هو جمع الاشتراكات والتبرعات من المحسنين وتوزيعها على المحتاجين من أبناء البلدة، والسعي لإيجاد العمل للقادرين منهم، والعمل على مكافحة التسول بجميع أشكاله وصفاته. وربما يقوم أعضاء هذه الجمعية بزيارة بيوت الفقراء في البلدة لدراسة حالتهم الاجتماعية من حيث المأكل والمشرب والملبس والمسكن، ومحاولة تعليم الأولاد بشتّى الوسائل، وتحديد مبلغ معين شهرياً لكل عائلة فقيرة.

الجمعية الفلاحية: تأسست هذه الجمعية في 5 كانون الثاني عام 1967م. وكان أعضاؤها تسعة أشخاص وكلهم من بلدة حرستا وهم: الرئيس ونائبه، وأمين السر، والمحاسب، وأمينا الصندوق، والمختار، واثنان للهيئة الاختيارية.

وفي بداية تأسيسها اجتمع أعضاء الجمعية وقرَّروا ما يلي:

1 ـ إنهاء خدمة النواطير في بلدة حرستا مع انتهاء موسم الزيتون دون تأخير.

2 ـ البحث لتعيين نواطير لأرض البلدة من جديد.

3 ـ يعتبر كل من النواطير موضوع البحث، وكل ناطور يُشاهد أنه يقوم بمهمته بعد انتهاء الموسم الحالي يُعتبر مخالفاً للأنظمة والقوانين ويُحال للقضاء فوراً.

4 ـ منع دخول قطعان الغنم والماعز للبلاد المجاورة لأراضي حرستا.

5 ـ إصلاح الأنهار ومراقبتها بتعيين لجان تقوم بالعمل تحت إشراف الجمعية.

6 ـ فصل أوقاف حرستا عن أوقاف القرى المجاورة.

7 ـ تأمين العلف اللازم من أجل مواشي البلدة شهرياً.

8 ـ تأمين كمية من القمح المستورد عن طريق التموين لسد حاجة بعض محتاجيه من البلدة شهرياً.

9 ـ تعديل لجنة المشاعات، ومشروع الفرنك.

10 ـ طلبت الجمعية من البلدية رفع قمامتها عن طريق المزرعة المعرقلة للسير.

11ـ تنظيم بطاقات لتمليك ماء الأنهر الخاص بمالكيه من قبل الجمعية.

12 ـ تنظيم تعهدات على أصحاب القطعان ـ من أغنام وماعز ـ لمنع الضرر الذي يلحق بالفلاحين.

13 ـ العمل على تأمين مبيدات لرش المزروعات من أجل مكافحة الحشرات الضارة.

14 ـ السعي لتأمين مستوصف للبلدة.

15 ـ السعي من أجل الحصول على خط مواصلات خاص من حرستا لمشفى السل.

16 ـ السعي لتأمين صب مجرى من الإسمنت داخل نهر الحرستاني من مزّاز العدرواني إلى مصنع المشياح إن أمكن ذلك.

17 ـ تخصيص لجنة للإشراف على أعمال قطع نهر تورا لعام 1967م، وقيامها بالإصلاحات اللازمة مدة انقطاعه. ويحق لأمين السر قبض مبالغ معينة من الفلاحين أصحاب الأرباع والفرق وصرفها في سبيل مصلحة النهر وعليه تقديم قيود ثابتة في سجلات رسمية تبين فيها الداخل والخارج مع بيان سبب كل نفقة، على أن يتقاضى كل منهم مقابل عمله والتفرغ له أجرة مقطوعة تقدَّر بأجر عامل ونصف، وأن أجرة العامل تعتبر بأربع ليرات سورية، وأن مدة عملها هي مدة انقطاع النهر حسب العرف والعادة.

قضية حراسة المزروعات والأراضي والأشجار في البلدة:

ـ إقامة حارسَين زراعة (نواطير) على محتويات الأراضي من مزروعات وأشجار وغيرها، والواقعة ضمن نهري الحرستاني والعلّيتة، وعليهما المحافظة على جميع موجودات الأراضي وحمايتها من كل ضرر يحصل فيها وذلك لمدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر.

ـ إقامة حارس زراعي (ناطور) على أرض نهر يزيد يتقاضى أجرة يومية قدرها خمس ليرات سورية فقط. وأجرة هذا الناطور على أصحاب أرباع الفرق للمياه، ويصيب

كل فرقة مياه حسب العرف والعادة سبع ليرات ونصف على اعتبار أن مجموعها ستون ربع فرقة ماء مما يعادل أجور ناطور نهر يزيد لمدة ثلاثة أشهر.

ـ أما أجرة ناطوري نهري الحرستاني والعلّيتة على مالكي مياه النهرين كل بحسب ما يملكه من الماء، ويصيب كل فدان ماء خراجي 120 قرشاً سورياً. وكل فدان ماء سلطاني 180 قرشاً سورياً، وذلك ما يعادل أجور الناطورين لمدة ثلاثة أشهر، ومما يعادل القيراط الخراجي خمسة قروش سورية، والقيراط السلطاني سبعة قروش سورية ونصف.

ـ تعيين شخص يقوم بحراسة المقبرة وغرس الأشجار المناسبة حولها. ومن الأعمال التي قامت بها الجمعية في 27/ 6/ 1968م ما يلي:

1 ـ توسيع لجنة التبرعات لبناء مسجد الزهراء.

2 ـ إحداث موضأ خارجي للمسجد العمري.

3 ـ تأمين أبقار ودواجن للفلاحين.

4 ـ منع دخول الصيَّادين إلى الأراضي الزراعية.

5 ـ إحداث روضة أطفال في البلدة.

6 ـ تغريم أصحاب القطعان التي ترعى تحت أشجار الزيتون خمس ليرات عن كل رأس من الغنم أو الماعز لأول مرة وبعدها تتم المصادرة.

7 ـ تعيين (شاوي) على نهري الحرستاني والعلّيتة لمدة ثمانية أشهر متوالية، من أرض الخشبة وحتى أرض العلّيتة والتعلة بالحرستاني وبأجرة قدرها 150 ليرة سورية شهرياً.

8 ـ تعيين ثلاثة (أشواء) على نهر يزيد لمدة سنة كاملة تبدأ من طلوع النهر وتنتهي عند انقطاعه.

عمل الجمعية على تحديد أجور التراكتورات وماكينات ذراية الحبوب:

لما كانت الجمعية الفلاحية في حرستا تهدف على حفاظ مصالح الفلاحين وصيانة حقوقهم. وقد ثبت لديها من الشكاوى الواردة إليها أن أصحاب المحاريث والماكينات يتقاضون زيادة عن أجورهم العادية والمألوفة فقد قررَّت الجمعية ما يلي:

ـ تحدد أجور أصحاب البيادر عن كل سبعة أمداد حَبْ عن أجرة كل غرارة المقدرة بثمانين مداً بدلاً عن الأجور الحالية وهي من 8 ـ 9 أمداد.

ـ تحدد أجور تراكتورات دراسة القشّ عن كل حمل قش من البيقية خمسون قرشاً، وعن كل حمل قش حنطة ليرة سورية بدلاً عن ليرة وربع، وستون قرشاً عن كل حمل قش من الشعير، بدلاً عن ثمانين قرشاً، وذلك ضمن البيدر.

ـ تحدد أجور تراكتورات دراسة القش خارج البيدر بين الأراضي الزراعية أربع ليرات سورية عن كل ساعة.

ـ تحدد أجور ماكنة ذراية الحبوب خارج البيدر بأربعة أمداد عن كل غرارة حبوب.

ـ تحدد أجور الحراثة ضمن أراضي البلدة عن كل دونم سلّيخ ليرتان، ويُضاف عليهما ربع ليرة عن كل حراثة دونم في الأرض المشجَّرة. وذلك بدلاً عن الأجرة التي يتقاضونها حالياً والبالغة ثلاث ليرات عن كل دونم.

بحث الجمعية في قضية النواطير في أرض يزيد وتورا:

اجتمع أعضاء الجمعية بالاشتراك مع المخاتير وجرى البحث في قضية نواطير أرض يزيد فقرَّر الجميع على وجود حراس زراعيين (نواطير) لحفظ الأراضي والمزروعات وعددهم ثلاثة نواطير من أرض السعدية حتى طريق الخميس، ومن طريق الخميس حتى نهاية أرض الجدار ثلاثة نواطير أيضاً.

وكما تقرَّر وجود حراس زراعيين لمنطقة أرض ثورا وحدَّدت كل منطقة بمفردها، وهي حراس أرض الجسرين مع بلاقين وعددهم ثلاثة نواطير. ومن أرض القلعان من السلطاني حتى طريق التلّية ثلاثة نواطير، وفي منطقة المزرعة ثلاثة أيضاً، وناطورين في أرض العلّيتة، وناطور واحد في مزّاز التينة.